عدنان مردم بك

العبّاسة

مَسرحيّة شعريّة من أربعة فصول

منشورات عويدات
بيروت - لبنان

عدنان مردم بك
العباسة
منشورات عويدات

آثار الشاعر

الدواوين والمسرحيات التي صدرت له

- **ديوان نجوى** : دار المعارف القاهرة عام ١٩٥٦
- **ديوان صفحة ذكرى** : دار المعارف القاهرة عام ١٩٦١
- **غادة أفاميا** : (دراما شعرية) منشورات عويدات بيروت ١٩٦٧
- **العباسة** : (مسرحية شعرية) منشورات عويدات بيروت ١٩٦٨

حقق الكتب الآتية

- **ديوان الشاعر خليل مردم بك**
  من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٩
- **ديوان الشاعر محمد البزم** : من مطبوعات المجلس الأعلى للآداب عام ١٩٦٠ حققه الشاعر عدنان بالاشتراك مع الاستاذ الزركلي
- **جمهرة المغنين للشاعر خليل مردم بك** : من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٦٥ حققه الشاعر عدنان بالاشتراك مع الاستاذ احمد الجندي

- كتاب الأعرابيات للشاعر خليل مردم بك

من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٦ حققه الشاعر عدنان بالاشتراك مع الاستاذ احمد الجندي

قيد الطبع

- الملكة زنوبيا : مسرحية شعرية من اربعة فصول
- الفاجعة : مسرحية شعرية من اربعة فصول

عدنان مردم بك

العباسة

مسرحية شعرية من أربعة فصول

منشورات عويدات
بيروت لبنان

الطبعة الاولى : كانون الثاني ١٩٦٨

الإهداء

إلى أرواح الشهداء في الوطن العربي

الذين امنوا بالله تعالى وجاهدوا واستشهدوا

توطِئَة

إن النكبة التي أوقعهـــا الخليفة العباسي هرون الرشيد بالبرامكة ، من أفجع المآسي التاريخية وأوجعها ؛ وقد ذهبت الكتب التاريخية الاسلامية في تعليلها مذاهب شتى ؛ فمن المؤرخين من عزا النكبة لأسباب شخصية بحتة ، مردُّها الأنفة العربية .

ذلك ان الرشيد ، كان شديد الشغف بمسامرة شقيقته العباسة ومسامرة وزيره جعفر والاستماع الى حديثهما ، وقد فتقت الحيلة للرشيد أن يعقد لجعفر على العباسة ، دفعـــاً للشبهة والحرام ، شريطة ان لا يبني جعفر بالعباسة ؛ ولكن حب العباسة العـــارم لجعفر جعلها تستهين بأوامر الرشيد ، وبقدسية الاعراف العربية التي تمنع مثل هذا الزواج .

وكان ان بنى جعفر بالعباسة سراً بناءً على إلحاحها ، ولمـــا نُميَ الخبر الى الرشيد ، استفزّه الغضب ، وأوقع بالبرامكة دون رحمة ، ولا هوادة .

والقصة ، كما نراها ضعيفة ، ولا يُستبعد أن تكون فارسية

الوضع والنسج ؛ في حين أن المؤرخين الثقـاة امثال ابن خلدون يردون اسباب النكبة الى دوافع سياسية بحتة ؛ فبنو برمك من البيوتات الفارسية العريقة ، وهم رجال اكفـاء افذاذ ؛ استأثروا بمقاليد الحكم وحدهم، حين وثق بهم الخليفة الرشيد عن تجربة ؛ ذلك ان يحيىَ البرمكي حمى الرشيد من اذى الخليفـــة الهادي وأوصله بحنكتــه الى كرسي الخلافة ، فحفظ الرشيد هذه اليـد ليحيى البرمكي ، وتخلى له عن اكثر صلاحياته .

استأثر يحيى وبنوه ، بالملك ؛ وصار الخليفة الرشيد في قبضة يدهم اشبه بدمية ، لا تتحرك الا عن امرهم ؛ فهرع النـاس الى ابواب البرامكة مستميحين، وقصدهم الشعراء والادباء منتجعين، حتى صار لهم بطانة خاصة ، وأعوان عديدون .

الأمر الذي جعل بني العبـــاس ومن ورائهم العرب يقفون بحذر من هذا الأمر ، لأن تمرد ابي مسلم الخراساني لم يزل عالقـاً في الاذهان .

بدأ النزاع سافراً بين العرب والفرس ؛ فقـد قامت زبيـدة ومن ورائها بنو العباس تكيد للبرامكة الذين كان يرى بهم الفرس الحصن الحصين لاحياء دولة فارس .

وقام جعفر البرمكي يكيد بدهاء في فتح الثغرات بين صفوف العرب أنفسهم ؛ فهو الذي أثّـر على الرشيد في تسمية المأمون ولياً للعهد بعد اخيه الأمين ، ونجم عن ذلك من الكوارث ما

نجم ، وهو الذي أطلق يحيى بن عبدالله العلوي من سجنـه سراً دون علم الرشيد .

وكان جعفر يرمي من وراء ذلك خلق الفتن والفوضى بين صفوف العرب . ليس بدعاً أن يكون جعفر البرمكي مناط آمال فارس في بعث دولتهم المرتقبة ، وقد حباه الله بمواهب عديدة : بديهة حاضرة ، وعقل راجح ، وشجاعة نادرة ، وشباب مرموق مع الكفاءة .

وكانت زبيدة عدوة لدودة الى جعفر ، وهي في الذؤابة من بني العباس ، ذكية ، ألمعية ؛ ورثت كره الفرس عن جدها ابي جعفر المنصور المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس والذي قهر طاغية الفرس ابا مسلم الخراساني .

تأصل كره الفرس في نفس زبيدة منذ الصغر ، ومما زاد كرهها كرهاً للبرامكة ، تأثير جعفر على الرشيد في تسمية ابن زوجها المأمون ، ولياً للعهد بعد ابنها الأمين ، اذ اعتبرت هذا الشيء ماساً بكرامتها وكبريائها .

وجدت زبيدة ومن ورائها الفضل بن الربيع ، في اطلاق جعفر سراح يحيى بن عبدالله العلوي دون علم الرشيد منفذاً محكماً لإشعال نار الشك في قلب الخليفة العباسي ، لأن يحيى هـذا ، منافس خطير للرشيد ، وسبق أن ثار على الرشيد ، وله شيعته الكثيرة من العرب والفرس؛ ومن هذا المنفذ تم لزبيدة ما ارادت

وجعلت الرشيد يتوجس من البرامكة، ويقف منهم على حذر الى ان واتته الفرصة وأوقع بهم .

فالصراع، كما نرى، صراع على الملك كما ذهب اليه ابن خلدون؛ واني اخذت بهذه النظرية التاريخية السليمة ، وحاولت ان انصف كلا الطرفين في تصوير ما لهما وما عليهما ، وجعلت من العباسة الضحية البريئـــة التي تمثل الأنثى في كل عصر ، تلك الانثى التي اذا ما تملكها الحب أسلست بزمامها اليه ، وسارت إثره الى أبعد شوط ؛ وقلت بلسانها الذي هـــو لسان كل محبة والهـــة :

مـــا حيلتي فيما اقترفت من الأذى وُخلقت أنثى

اني في مسرحيتي ، لم اقتف اثر أحد ، فقـــد نسجتها ، كما تراءى لي على ضوء معلوماتي وشعوري ؛ راجياً ان اكون عنـــد حسن ظن اخواني بي ؛ والله من وراء القصد .

عدنان مردم بك

أشخاص المسرحية

هرون الرشيد	الخليفة العباسي
زبيدة	زوج الخليفة وعدوة جعفر
العباسة	اخت الخليفة وعشيقة جعفر
جعفر البرمكي	وزير الخليفة وعشيق العباسة
الفضل بن الربيع	وزير الخليفة وعدو جعفر
زيد	مساعد الفضل بن الربيع
مهدية	وصيفة زبيدة
صالحة، عاتكة	وصيفتا العباسة
فيروز، جمشيد، سيراس	من غلاة الفرس ومن اشياع جعفر البرمكي
ام جعفر البرمكي	
مسرور	السيّاف

الفصل الأول

المشهد الاول

[تقف صالحة وعاتكة على شرفـــة في قصر الخلافة ببغداد ، تنصتان الى أهازيج الشعب وهم يحيون الخليفـــة الرشيد وابنيـه الأمين والمأمون ؛ يصل موكب جعفر الى قصر الخليفة فتتأمله صالحة وتهمس الى عاتكة]

صالحة

لله (جعفر) من فتى   كالكوكبِ المتوقّدِ
حُلْوُ الشمائلِ شَيّقٌ   بشبابِهِ المتــأودِ (١)
يُمناهُ ترشح بالندى   للسائلِ المسترفد (٢)
وحسامُهُ يومَ الوغى   للظالمين بمرصـــد

---

(١) المتأود : المنعطف ، المنحني
(٢) المسترفد : طالب العرف

كالموتِ ما من مُوصَد   إنْ جاء كان بموصد
ودقيقه كالغيبِ ملتثماً   بليـــلٍ سرمدي

عاتكة

ما (جعفرٌ) في مشهدٍ   ضَنْكٍ[1] يُعاب بمشهدِ
خبر الأمورَ ولم يُضقْ   ذرعاً ولم يتبلدِ
ورمى العدى من رأيه   لمـــا رمى بمهنـد
سلستْ له شُمْسُ الأمور   وكلُّ صعبٍ مجهـد
أنا لا أخاف عليه صعباً   في وغىً متوقـــد
أخشى السعاية دونه   ونميمـةً مِنْ حُسَّـدِ

صالحة

من كان يجسر أنْ يكيدَ   (لجعفر) عنـد الامامِ
هيهات يسعى عـاقلٌ   عند الخليفة بالملام
دون السعاية ما يشيبُ   لهوله رأسُ الغلام

(١) ضنك : ضيق

عاتكة

أنا لا أخافُ من الرجال ضراوةً[1] حين الخصامِ
يأبى الوفاءُ على الفتى كيداً بأروقة[2] الظلامِ
والختلُ من شِيَمِ اللئيم وليس من شيم الكرام
لكنما الأنثى تطيبُ لها الوقيعةُ[3] كالغرام
أخشى النساءَ وليس بدعاً كان خوفٌ مِنْ سقام
برق المنية ، ما يضيء بثغرهنَّ من ابتسام
أنسيتِ كيد (زبيدة) فيما تؤجج من ضرام
ليستْ (زبيدة) غير انثى في مطامعها الجسام
ما كيدها غير الحمام وكيفَ يُؤمنُ من حمام

صالحة

إنَّ البواعثَ للأذى يُعزى الى خطل[4] الهوى
عجباً ، وهل من حافزٍ يدعو (زبيدة) للأذى

---

(١) ضراوة : شدة الحرب
(٢) أروقة : طائفة
(٣) الوقيعة : الاذى
(٤) الخطل : الجهل

مـا كان كرهُ (زبيـدةٍ)
للفُـرْسِ مِنْ عَبَث الهوى

كُـرْهٌ كمعتلج الضنا ملء الجوانح والحشا
هيهات يخمـــد نارهُ او كان يعروه البلى
إحنٌ⁽¹⁾ القلوب مردُّها طمعٌ بمـالٍ يُقتنى
ومردُّ حقد (زبيدةٍ) طمعٌ بثـــأرٍ يُجتنى
أو ليس (جعفر) خصمها أبدَ الأبيدِ بمـا أَتى
سلب ابنها في زعمها شيئاً أعزَّ من المنى
وأتى له بمشاركٍ⁽²⁾ من دونه ليثُ الشرى
أطماعـهُ البحر الخِضَـمُّ وهلْ لبحرٍ من مدى
وكأنَّ ثاقب⁽³⁾ فكره قـدرٌ إذا حُمَّ القضا

---

(١) الاحن : العداء
(٢) المشارك : هو المأمون
(٣) ثاقب : نير

المشهد الثاني

[تظهر الاميرة العباسة وهي مطرقة
حزينة وتتقدم من عاتكة وصالحة]

صالحة

[بهمس]

أرى الأميرة تسعى في حيرةٍ ووجومِ
كتائهٍ في عُباب بجنح ليلٍ بهيم

عاتكة

[تتقدم من العباسة قائلة]

تحيةً أميرتي نيّرةً كالشهبِ
خالصةً من زَيَف[1] البطلِ وغشِّ الكذبِ

صالحـــة

أميرتي مُتـِّعْتِ بالعيشِ وعمرٍ طَيـِّبِ

العبـــاسة

[لهما]

عوفيتما ، أمـــنْ خبرْ

عن حاضرٍ يشفي الوطرْ ؟

صالحـــة

[بحماس]

توافدَ النـاسُ زُمَرْ كزاخرٍ في منحـدرْ

والأرضِ ماستْ عن خَفـَرْ [2]

في سابـغٍ [3] منَ الحبرْ

وكُلـهم في نشوةٍ معسولةٍ من الظفر

جُنـّوا وما مِن عجب إن جُنَّ قلبٌ من ظفر

توليةُ (المأمون) أمرٌ من أعاجيبِ القـــدر

---

(١) الزيف : البهرج

(٢) خفر : حياء

(٣) سابـغ : واسع

هيأهـــا له فتى كالنصل بأساً وخطر
تنزهت أخلاقـــه عن كلٍّ شين وَعوَر[1]
لله درُّ (جعفر) مـا كان أحلى وأمرّ

العبـــاسة

[بتحسر]

ما ضرَّ جعفر لو تحاشى النارَ أو حذرِ الشرر
ما باله وهو الأريبُ يكاد يعثر من عَوَرْ
من نام قرب النارِ لم يأمنْ من النار الخطرْ
ولكل نارٍ حين تعصف ما يزيـغ لهـا البصر
وأمرُّها ما راح ينهش في الصدور من الوحر[2]

صالحـــة

[تحاول تخفيف حزن العباسة]

عجباً أمنْ داعٍ لهذا اليأس والدنيـا أغاني

---

(١) عور : نقيصة
(٢) الوحر : شدة العطش

والأرض في حلل الربيع تدلُّ[1] زهواً بافتنانِ
في كل سفح للربيع وساوسٌ ملء الجنان
وبكل منعرجٍ له ما طاب من ثمر الأماني
قيثارهُ غَرِدٌ يجلُّ عن المثالث والمثاني[2]
ولكم بألوان الربيع من الروائع والبيان
إحسانه أبداً جديدٌ في النواظر كالأماني
ليس الربيع سوى
ابتسامٍ طاف في ثغر الزمان

العباسة

ليس الربيع اذا تكاثرت الشجونُ بمسعدِ
في أضلعي نار يصفق غربُها كمعربد
ووساوسٌ لا تستقرُّ كتائهٍ في فدفد[3]

---

(١) تدل : تتيه
(٢) المثاني : ما بعد الاول من اوتار العود
(٣) فدفد : صحراء

أخشى غدي وأهابه خوف المتاعب من غدي
وأخاف كلَّ نميمةٍ من شامتينَ وحُسَّد
أنا إن جزعت فلم يكن
جزعي وخوفي عن دد[1]
النـــاس أشباه الذئاب بمنهجٍ وبمقصـــد
كلٌّ جرى في مسلكٍ وعْرٍ ولم يتبلد
وأرى الجميع لمنكرٍ ضربوا بليل سرمدي
يتخبطون وكلهم ذئبُ السريرة[2] واليد
مـا حيلتي ووساوسي نار تموج بموقـد

عاتكـــة

بالروح مـــولاتي أُفديكِ والمـــالِ
بالنـــاس بالدنيا والعـــم والخال
في مثلك الغـــالي يُسترخص الغـــالي

---

(١) دد : لهو ، لعب
(٢) السريرة : السر الذي يكتم

[بيأس]

ما كنت أدري غايتي	والكون يجري نحو غايه
لا أملك الأمرَ الجليل	من الحياة ولا النفايه[1]
أمشي ولا أدري المصير	من المسير ولا النهـايه
أنا قصــة تُروى	وأشجاني على الدنيا حكايه
إني سئمت من المصير	وضقت من سخف الروايه
مـا بال كلِّ حليلةٍ	نالت من الحب الكفايه
ومنعت عن نيل القليل	من المحبــة والعنايه
كم لوعة في أضلعي	عصفت تجلجل[2] عن غوايه
داريتــها وكتمتها	خوف الوشاية عن درايه
أنا ريشةٌ في عاصفٍ	راحت تهاوى دون غايه

[تقف قليلا ثم تقول]

إني سئمت من المصير	وضقت من سخف الروايه

---

(١) النفاية : الشيء التافه

(٢) تجلجل : تضطرب

صالحـــة

عليـــك مولاتي بالصبر والحـــزم
فاليـــأس قتالٌ كسورة السقمِ
والنجـح مرهونٌ بالصبر والحـــلم

العبـــاسة

هل من مصيرٍ موجعٍ أشقى وأدهى من مصيري
جلَّت يـــدٌ للخطب
تُرهق أصغريَّ [1] عن النظير
أخت الخليفة حين أُدعى للجليـــل من الأمور
والناسُ تأمل بي الكثير وليس عندي من كثير
أرجى لدفع جوائح [2] في كل خطب مستطير
ويرى بيَ الناسُ العزاء لهمْ على الخطب الخطير
وأنا لأوْلى بالرثـــاء لما أُعاني من سعير

---

(١) الأصغرين : القلب واللسان
(٢) جوائح : جمع جائحة وهي المصيبة

مالي أُجمجم[1] لوعة كالنار تعصف بالصدور
وأُخادع القلب الكسير بما أُنَمِّقُ من غرور
هيهات ينقع بهرجٌ[2] شوقاً تشظَّى[3] كالسعير
هل كان من عارٍ عليَّ اذا حننت الى العشير[4]
أو رحت أهتف من جوى في ظلمة الليل الضرير
والله أوصى بالعشير بآيِ محكمه المنير

[تقف قليلاً ثم تسترسل]

ما كان (جعفر) بالهزيل من الرجال ولا القصيرِ
يُنمى اذا انتسب الرجال
(لهرمز) او (ازدشير[5])
نسبٌ تألَّقَ نجره كأشعة الفجر المنير
وبداهةٌ مقرونةٌ بضراوة الأسد الهصور

(١) اجمجم : اضم
(٢) البهرج : الزيف
(٣) تشظى : انشق
(٤) العشير : الزوج
(٥) هرمز وأزدشير : من أكاسرة الفرس

وِصباً كمفترِّ الربيـع وضاحك الأمل النضير
ويدٌ كمنهلِّ الغمام تجود بالخير الكثير
زُوِّجتُ (جعفر) باختيارهِ
أخي ولم أذمم مصيري
لكنها لسياسـةٍ خرقاء[1] من خطل المشير
حُلئتُ[3] عن ورد العشير
ولم أمتـعْ بالعشير
هـل من مصيرٍ موجع
أدهى وأوجع من مصيري

عاتكـة

عجباً أيغمض (جعفر) جفناً وجرحك يقطرُ
جفن الكريم ، اذا غفـا
النّكْسُ[3] الجبان ، مُسَهَّر

---

(١) خرقاء : حمقاء
(٣) حلئت : منعت عن شرب الماء (٣) النكس : الرديء

العبـــاسة

هل كان (جعفر) غير إنسان يهـاب من القدرْ
ماذا عليه اذا تهيَّب من قضاء او حـذر
أمر الخليفـة في الورى قدرٌ يغضُّ له البصر
ما كان للانسان من قدر نجـــاةٌ او مفر
ما كل صمت كان مرجعه لعيٍّ او حصر[1]
كم كان في صمت الحزين لمن تمعَّن من صور
لا تنعتي بالجبن (جعفر) إن تهيـَّب من قـــدر

عاتكـــة

الحر من لبـّى النـــداء اذا دعاه الواجبُ
ومضى الى ورد الردى ثبتَ الجنان يحـارب
لكنّ (جعفر)عن جليل الخطب لاه لاعب
وبسمعه وقرٌ[2] اذا نادى لمجـــدٍ واجب

(١) الحصر : العي
(٢) الوقر : الصمم

العبــــاسة

[بألم]

لا تسرفي ظلماً بلوم والحقـــائق ساطعهْ
دونـ الذي تبغينـه كانت تلوح الفــاجعه
إن الشجاعة حنكـة ودراية من باقعه(١)
لا طفرة من خانع اوِ وثبة من خانعـــه
أخشى غداً وأخاف ما يخفي غد من فاجعـه

[تنظر العباسة الى عاتكة بمعنى وتقول]

هلاَّ ذكرت (لجعفر) اني عليـــه لجازعه
وذكرت أن عدوّه يسعَى لكسب الواقعه

[تشير العباسة لهما بالانصراف وتردد هامسة]

هل عند جعفر ما بصدريِ من شظايـا ساطعـــه
بالروح أنت على الأسى اني عليك لجازعـــه

---

(١) باقعة ؛ داهية

المشهد الثالث

[تظهر زبيدة وهي تنظر الى العباسة بحقد
وهي تبادرها بتهكم خفي]

عجباً أمن داعٍ لصمتكِ والحيــــاة تصفقُ
في كل منعرج حديثٌ شَيــِّقٌ ومُنمَّـقُ
ووساوسٌ عن غابرٍ ملء الأضالع تخفق
والوجد نيرانٌ يزمجر غربها[1] المتدفق
أوَليس في فِتَـنِ المنى مـا يُستطابُ ويُعشق
أمْ كان صمتك غفوةَ النشوان حين يُحلِّـق

---

(١) الغرب : الموج

العبـــاسة

ما كان صمتي نشوة بل كان أشجاناً وداءَ
لجم الأسى مني اللسانَ فرحت استجدي[1] العزاءَ
وطفقت من لغب[2] أعلل خافقاً فقد الرجاء
إنْ رحت استجدي المنى أَغضيت من لغب حياء
وإذا أَتيت العقل أجَّج[3] بالظنون الداءَ داء
مـا كان صمتي نشوةً بل كان من سقم عياء

زبيدة

تشكين كالصبّ[4] السقيمِ وليس سعيُكِ بالسقيمِ
أحرزت غاية ما يروم المرءُ من نصرٍ جسيم
هل كان للانسان بعـــد النصر من فوزٍ عظيمِ

العباسة

من أين لي النصر المبين وكنت أرسف بالقيودِ
ما كنت أَملك قيد أنملة على خطر الجدود

---

(١) استجدى : طلب العطاء
(٢) لغب : التعب
(٣) أجج : أضرم
(٤) الصب : الولهان

أَنا قصـــة الرقِّ التي   عصفت تجلجل بالحديد
أَنا نفثة الأوجاع مائجة   بأضـــلاع الشهيد
من أين لي النصر العظيم   ورحت أرسف بالقيود

زبيدة

ظفر الحبيب سعـــادة   مـــا كان يحكيها ظفرْ
أوَ ليس في ظفر ابن يحيى[1]   ما يُسَرِّي من كـــدر
أَم كان هـــذا الفوز لم   ينقع (لجعفر) من وحر[2]

[أهازيج تتعالى من الشارع تحيي
الرشيد وابنيه الأمين والمأمون]

زبيدة

[بحقد]

هذا لعمري مـا اليـه   سعى ابنُ يحيى في الخفاءِ
شطر الرجـــال قبائلاً   وأثار حرص الادعياء
وأثار كل ضغينـــة   بالنار تنفث والبـــلاء

---

(١) ابن يحيى : هو جعفر البرمكي
(٢) وحر : عطش ، حقد

وأحال أكباد الرجال بمكره وكــراً لداء
في كل منعرج تعــالى الحقـــد منشور اللواءِ

العباسة

ما ذنب (جعفر) إنْ أطاع خليفةَ الله المفــدّى
هل كان جعفر غير فردٍ بالذي أَخفي وأَبــدى
من ذا إذا أمر الامام يصدُّ إعراضاً وحردا[1]
أمـر الخليفـة لم يكنْ من دونـه للمرء مغـدى

زبيدة

[معرضة بالمأمون]

مـا كان هرون الهـدى يسعي لاذلالِ العربْ
أرومةٍ[2] مـا شابهـا شين على كرٍّ الحقب[3]
تسطع في جنح الدجى عاصفة مثل اللهب
يخالهـا من شامهـا[4] سبيـكة من الذهب
ودون هذا عنده مزدجر[5] من الحسب

(١) الحرد : الغضب
(٢) أرومة : حسب
(٣) الحقب : السنون
(٤) شام : تطلع
(٥) مزدجر : رادع

العباسة

[بتحد]

ما كان (بالمأمون) نقصٌ في بيـانٍ أَوْ أَدبْ
مَنْ مثـله في مأزق يُدعى اذا أَمرٌ حزب (١)
حُسَامهُ عضبٌ صقيل ليس يعيـا عن أرب
وإن تداعى معشر للقول جـاء بالعجب

زبيدة

أقوالُ فارس في لُغَـاكـِ جليةٌ تتحـدرُ
هـذا لعمري مقـول لا يرتضيه مفكر
ويخافه متبصرٌ يخشى البلاء ويحذر
ما كان في (المأمون) من عوَرٍ يُعاب وينكر
لكنَّ جعفر من وراء الأمر هبَّ يشمـرّ
أَطماع فارس لم تكنْ تُخفى ولا تتغير
تقويض مجـد العرب مـا تسعى اليه وتنظر

---

(١) حزب : اشتد

قد رابني ما رحت أشهد   مـن مطامـع تزخـرُ
وأقضّ[١] نومي ما رأيتُ   وما سمعتُ وأبصر

العباسة

إني لأسمع في لغاكِ الليثَ حين يزمجـرُ
وأكاد أبصر ما انطوى   من جمرةٍ تتسعر
كـرهٌ بمعتلج الأذى   يعمي العيـون ويحسر
هَلاّ تدبرتِ الأمـور   وفي الأناة تبصر
ما شأن (جعفر) والخليفة   في الرقـاب مُؤمَّـرُ
من ذا إذا نطق الامام   عليه قولاً ينكر
أمر الامـام هو القضاء   على الرقاب مُقَدَّر

[أصوات تتعالى تهتف بحياة هاشم وأخرى بحياة برمك]

أصوات

تحيـــا هاشمْ

أصوات

تحيـــا برمكْ

---

(١) أقض : نفى

زبيدة

[الى العباسة]

هل بعد هذا من دليلٍ   تبتغين لجعفر
ورأيتِ شيئاً ليس يُخفى أمرُهُ عن مبصر
وسمعتِ نأمة[1] كل عاتٍ طامحٍ مستنسرِ[2]
أنا إن غضبت فقد غضبت لما بدا من منكر
ما حقد (فارس) بالخفيِّ لهيبُهُ عن مبصر
أطماعهمْ يمٌّ[3] يمور بجامحٍ متسعر
عجباً أتبغين الدليل على أذى المستأثر
ومِن الفواجع شاهدٌ يُدلي بلحن مُؤثر
لم يبق من رسم الخلافة غير رسمٍ أعفر
أثوابنا ليست إذا نُسبت تُردُّ لبحترِ[4]
وطقوسنا[5] من (أزدشير)[6] و (يزدجرد) الأعور

---

(٢) النأمة : الصوت   (٢) مستنسر : صار نسراً
(٣) يم : بحر   (٤) بحتر : قبيلة عربية خالصة منها الشاعر البحتري
(٥) الطقوس: هنا بمعنى الاعياد لأن الاعياد الفارسية انتشرت ايام العباسيين
(٦) ازدشير ويزدجرد : من أكاسرة الفرس

ودعاة (فارس) يمرحون بمخصبٍ مخضوضر
والناسُ ساهمةُ النواظر من أسىً وتحيُّر
وأراكِ تائهة الخطى في جنح ليلٍ مقفر
كفراشة شامتْ لظى خلف العجاج الأكدر
وتدفُّ[1] تضرب بالجناح بلهفةٍ وتحسر
حسبت بريق النار نوراً من خلال العثير[2]
مَدَّتْ جناحاً حالماً للنارِ دون تفكر
لم تدر ما خلف البريق من اللظى المتسعِّر
فأتى اللهيب على الجناح بقسوة المتنمر
يا للفراشةِ ما أمضَّ مصيرها للمبصر

[تظل الأهازيج تحيي برمك]

زبيدة

[تتابع]

إن الدليل لمبصرٍ ما كان بالمتعذرِ
لا تبتغي منِّي الدليل على مطامع (جعفر)

---

(١) دف : ضرب بجناحيه (٢) العثير : الغبار

[تنسحب زبيدة وتبقى
العباسة حائرة وهي تقول]

هل لامرىء منجى إذا ... حُمَّ[1] القضاءُ المنزلُ
هيهاتَ يدفع جحفلٌ[2] ... أوْ كان يغني معقل
ويحي أأَغمض عن قذى ... جفناً بجرحٍ يهمل
وتقرُّ نفسي بالهوانِ ... ولم تكنْ تتحملُ
وأرى الخطوب تكشَّفت ... عن كلّ خطب يُذهلُ
هذي (زبيدة) شمَّرتْ ... والليل داجٍ مسبل
ما كيدها الاَّ الممات ... وهل مماتٌ يسهل
لو يدفع القدرَ الفداءُ ... بذلت ما لا يبذل
وسختْ يميني بالذي ... كانت لحرصٍ تبخل
بأبي وأمي (جعفراً) ... بل قلَّ ما أَنا أَبذل
لا عاش من يبغي الأذى ... لكَ ، أَوْ رعاه منزل

[يسدل الستار]

---

(١) حم : نزل
(٢) جحفل : جيش لجب

الفصل الثاني

المشهد الاول

[في قاعة العرش : يجلس الرشيد على عرشه وبين يديـه جعفر ، وأفراد من الحاشية تقف بعيداً]

جعفر

مولايَ وعدك حَقٌّ لا يُمترى وضيـاءُ
وعد الرجال غثاء[1] ووعدك الأنواء[2]
كأنَّ كفَّكَ بحـر في جودها وسمـاء
وسعتَ ما ليس يقوى بوسعـه الحلمـاء
فهلْ شفيت غليلي وفي يديك الدواء

(١) غثاء : زبد ، اوراق بالية
(٢) الانواء : الامطار

الرشيد

[باسماً]

أَكنت تنكر أَمــراً حتى مللت الثــواءَ
أَمْ أَنَّ (بغداد) ضاقتْ أَرضاً وشحّتْ سمــاءَ

جعفر

[بأدب]

مولايَ ليس رحيــلي تململاً وجفــاءَ
لكنّهــا النفس كانتْ لا تستطيب ثواءَ
نوازعُ[1] النفس أخفتْ عن العيون الضيــاء
وبات كلُّ يقــينٍ تخرصاً[2] ومــراء
نعماك أغزرُ عندي من الغمام عطاء
تنهلُّ كفّاك تبراً[3] ونعمةً وثراء
فقتَ الغمامَ سماحاً ونائلاً وحباء[4]
وسيبُ[5] كفّكَ قطرٌ يشفي الصدور الظماء
لكنّهـا النفس كانتْ لا تستطيب ثواء

(١) نوازع : هواجس ، وساوس (٢) التخرص : الكذب
(٣) التبر : الذهب (٤) حباء : عطاء
(٥) سيب : ما سال من المطر أو النعمة

الرشيد

[بمكر]

ما في ولائك شَيْنٌ عليه يوماً تُعابُ
إذا ادلهمّ (١) بخطبٍ ليلٌ وجاش عبابُ
جلوتَ رأياً جلته الألبابُ والآداب
ولم تضقْ بجليلٍ إنْ ضاقتِ الألباب
أَوْ كنت تحذر أمراً في حادثٍ أَوْ تهاب

[يتوقف الرشيد وينظر الى جعفر ويقول]

اذا طلبتَ ثواباً فالحر كان يُثابُ
صبراً فعما قريبٍ يكون ثمّ المثاب

جعفر

في مثل جدواك يعيا البليغُ والبلغاءُ
جدواكَ صوبُ غمام تحشُّهُ الأنواء
وهل يقوم بحقّ السماءِ يوماً ثناء

---

(١) ادلهم : اشتد

[ينسحب جعفر والرشيد يخاطب نفسه]

إلحاف[1] (جعفر) ينطوي من دونه الأمرُ الخطيرْ
(بغداد) مهوى قلبه بالأمس والأملُ الكبير
ما باله وهو الشغوف بها يضيق ويستجير ؟

[يسكت ، ثم يتابع]

أطماع (فارس) مارجٌ[2] في كل جارحة[3] تثورْ
تنداح عن لهب يضيق بعبء جامحه الصدورْ
هيهات تنعم (فارس) بكرىً وجانحها كسير
لو أمكنتها فرصةٌ لعتت كما صال الهصور[4]
العجز عاق عن الأذى لا الحلم حال ولا الضمير

---

(١) الحاف : شدة الطلب
(٢) المارج : الشعلة الساطعة
(٣) الجارحة : العضو
(٤) الهصور : الاسد

المشهد الثاني

[يدخل الفضل بن الربيع وينحني محيياً الخليفة]

الرشيد

ماذا وراءكَ مِنْ خبرْ   وبكل زاويةٍ عِبَرْ

الفضل

مولايَ قد كُشف اللثامُ   وجانب[1] القومُ الحذرْ
ما كيد (برمك) سِرهُ   بمحجَّبٍ عن ذي بصرْ
في كل ناحيـــةٍ لهمْ   زمرٌ تعاضدهـــا زمر
ودعاتهمْ عدد الرمال   فكيف يحصرهم نظر

[يسكت قليلاً ويتابع]

---

(١) جانب : ابتعد

مولايَ (جعفرُ) أخلى السبيل سراً (ليحيى)[1]
سجينكَ اليومَ حُرٌّ يطوي البلاد ويسعى
يُؤرِّثُ الأرض ناراً كما يشاء ويهوى
ودونه (الفرس) سيلٌ بالشر يجري ويطغى
سياسةُ الفرس بغْيٌ في كل وادٍ ومرعى
وهدمُ ما ليس يوماً يَدٌ عليه لتقوى
[يهتز الرشيد للنبأ ويقول]

الرشيد

أَوأثقٌ أنت مما قصصتَ من أمر يحيى

الفضل

مولايَ جئت بقولٍ من اللباب[2] المصفى
وكنت جدَّ أَمين أَروي الصحيح ليروى

الرشيد

[يأمر]

(١) يحيى : هو يحيى بن عبدالله العلوي الذي خرج على الرشيد مطالباً بالخلافة ولكن الرشيد استطاع ان يقبض عليه ، فشفع به جعفر عند الرشيد ونجاه من الموت ولكن الرشيد وضعه في السجن وأوكل جعفر البرمكي على حراسته فأطلقه جعفر دون علم الرشيد وإذنه .
(٢) اللباب : الشيء الخالص

ترقبِ القومَ واحــذر فالليل للويــل أخفى
ولا يفوتَنْكَ مسعى يُحـــاك سراً ويُطوى
البرمكيون كثرٌ في كل وادٍ ومرعى
بالحزم يُدْرك أمــرٌ ما كان يوماً ليجنى

[يخرج الفضل والرشيد يتمشى مفكراً ويقول]

كُشفَ السترُ وانجلى ناصعاً عن فواجعِ
بات مـا كان خافياً أمسِ يُجلى بساطع
يقتضي الأمـرُ فطنـةً قبلَ شحذ القواطع[1]
إنما الحربُ خدعةٌ قبل خوض المعامع[2]
ربَّ رأيٍ مُسَدَّدٍ كالسيوف القواطع
يُجتنى النصر في الوغى باحتيالِ المخـادع
وأرى المـرءَ بالحجـا لا بظفرٍ وقاطع

[يخرج الرشيد]

---

(١) القواطع : السيوف
(٢) المعامع : الحروب

المشهد الثالث

[تظهر العباسة ومعها عاتكة]

العباسة

أجد اللسان بما يجن   الصدر لا يشفي اللسانُ
وأرى البيان بما يكنّ   القلب لا يغني البيان
وجدٌ كمعتلج الضنا   عن حمله ضاق الجنان[1]
ولواعج تفري بأوجاع   كما يفري السنان
ماذا يفيد توجعي   إنْ كان لا يشفي البيان

عاتكة

ما في التوجع حيلة   تغني سوى مضضِ الهوانِ

---

(١) الجنان : القلب

الحر من لمس الجراح ندية لمس البنـــان
ودموعـه بجفونـه لم تنحدرْ من عنفوان[1]

العباسة

تبغين مني الكبرياءَ وأين مني الكبرياءُ
برح الخفاء ولم يعدْ يجدي على شوقٍ خفاء
قد كان لي قبل الهوى في كل ميــدانٍ لواء
وحشاشة سطعت بمؤتلقٍ كما ضاءتْ ذكاء[2]
ران الضنا بجرانه[3] وثوى بها الداء العياء
واليوم أين مع الجوى جــلد وأين الكبرياء
قد كان يزجرني الحياءُ عن الدنيــةِ والاباء
برح الخفاءُ ولم يعدْ يغني على وجدٍ حياء

عاتكة

إنَّ الكرامــة بالدم المهراق كانت تُفتدى

---

(١) عنفوان : كبرياء
(٢) ذكاء : الشمس
(٣) الجران : مقدم العنق

الحب دونَ كرامــةٍ ما كان شيئاً يُشتهى

العباسة

هيهات يُغني الكبرياء مع الهوى أوْ ينفعُ
سيفُ الصبابة دونــه الأعناقُ كانت تخشع
حكم الهــوى متمكن كالطود[1] لا يتزعزع
ينهي ، فتأتمر القلوب كما يشاء وتخضع
وأرى الهواجس لم تدعْ لمتيمٍ ما ينفع
عصفتْ بأشجانٍ تكاد بها الحشا تتقطع
بحر الصبابة بالهواجس والوساوس مترع
والنفسُ من عجبٍ لأشجانِ الصبابة تنزعُ
أينَ التجلدُ ، والهوى نارٌ تشبُّ وتسطع
والحلم لا يشفي الفؤاد وهلْ بحــلمٍ مطمع
[تكرر عاتكة قولها]
إنَّ الكرامــة بالدمِ المهراق كانت تُفتدى

---

(١) الطود : الجبل الراسخ

والحب دون كرامة ما كان شيئاً يُشتهى

[تطرق العباسة واجمة برهة ثم تقول]

أبصرتُ ما شفَّ الفؤادَ بعينِ حلميَ من جوى

حلمٌ أقضَّ مضاجعي وأثار مشبوبَ اللظى

أبصرت (دجلة[1]) عاصفاً ومزمجراً دونَ الثرى

غمر الدساكر[2] والربى ببهيم غمـــرٍ كالدجى

والرعب ران بكلكلٍ[3] فوق المدائن والقرى

والليـل معقود الإزار من اللواعج والأسى

والناس راحت كالسوائم شُرّداً حـــذرَ الردى

أبصرتُ (جعفر) بالحديد ينوء من عبء الأذى

فتَّ العيـــاءُ بساعديه وشفَّهُ عبءُ الضنى

يجري بلا هدفٍ ويخبط كالضرير بلا هدى

يبغي النجاةَ فيرتمي كالشِّـلْوِ[4] منهوكَ القوى

---

(١) دجلة : نهر بغداد

(٢) الدساكر : جمع دسكرة وهي القرية

(٣) كلكل : الصدر

(٤) الشلو : كل مسلوخ

والريح تزأر خلفه وكأنّها ليث الشرى
ما زال يحبو[1] جاهداً حتى تساقط وارتمى
فإذا (بدجلة) عن أذى يرمي ويعصف عن أذى
وافاه كالقدر المتاح بضربةٍ لا تُتقى
وغدت صحائف عمره مِزَقاً[2] يطوح بها الردى

عاتكة

تخشين عاديةَ الخيالِ وما به ما يُفزعُ
ودموع عينك لا تني شجناً تسحُّ وتهمع[3]
هيهات يجترح[4] الخيالُ من الأذى ما يُفجع
الشرُّ حيث الناس يجأر[5] غربُهُ ويقعقع
دنيا الحقيقةِ أُترعتْ بلواعجٍ لا تُقلع[6]
لكنما دنيا الخيال بكل نورٍ تسطع

---

(١) يحبو : يدب ، يزحف
(٢) مزق : قطع
(٣) همع : السكب
(٤) اجترح : اقترف
(٥) جأر : رفع صوته
(٦) أقلع : انقطع

ما في الاشارة ما يخيف وانمـــا معنى الاشارهْ
يا ربَّ معنىً في الاشارة كان أدهى من شرارهْ
وهلِ الخيالُ سوى دقيق الرمز عن فحوى العبارهْ
كُشف الغطاء فما الخيال لعاقلٍ غـــيرِ الاشارهْ
والعاقلُ الفطنُ اللبيب يخاف من زَلَلٍ عِثارَهْ[1]

[تدخل زبيدة فتنسحب عاتكة]

---

(١) العثار : الزلل

المشهد الرابع

زبيدة

[الى العباسة بخبث]

ما للأميرة ما تني من شجوها تتوجعُ
أوَ كان بعد النصر للنفس الطموحة مطمعُ
يهنيك (جعفر) في القلوب متوجاً يتربع
يُعطي جزيلاً مثل منهمر الرباب ويُتبع
كرَمٌ لو انَّ السيل مشرعه لغاض المشرع[1]
وبديهة أمضى من القدر المتاح وأسرع
ومواهب كالشمس من خلف الدجنّة[2] تسطع

(١) المشرع : السيل ، النهر
(٢) الدجنة : الظلمة

تلكَ المواهبُ تستجدُّ على المدى وتشعشعُ
خُلِقتْ لكلِ عظيمةٍ طَرَقتْ وما يُتوقع
[تتابع بتهكم]

هو بالخلافة يا أميرةُ خير مَنْ نتوقع
لكنَّها الأقدارُ تخفض من تشاء وترفع

العباسة

عَبَثاً أحاول كسبَ عطفك بالترفقِ والليـانِ
لو كنت استجدي الحديد لذاب عطفاً مِنْ حنـان
لكنَّ قلبك في الضراوة كان أقسى من سنـان
كَمْ صخرةٍ سالتْ بعذبٍ شفَّ عن مثـل الجمان
نَقَـعَ الأُوارَ كأنَّـه في طيبه بنتُ الدنان
وأرى القلوب تسيل عن ضرم وتعصف عن دخان
ما حيلتي إنْ لم يُثرْ بك مدمعي داعي الحنان
هل بعد ألسنة الدموع لمستجيرٍ من لسان

زبيدة

[بحقد]

ما كان حقداً ما بقلبي   لو كشفتِ عن الغطاءِ
إني لأشفق أنْ أراكِ   مطيـــةً[1] للأشقياء
أنساكِ وجدُكِ ما عليك   إلى ديارِكِ من وفـــاء
حبُّ الديار شريعـــةٌ   ما شابها[2] شوب افتراء
يقضي الاباءُ على الكريم   الصمتَ في الداء العياء
حـــقٌّ العشيرة أول   في كل بذلٍ أوْ عطاء
والمجد يأبى أنْ يحيـد   الحر عن سَنَنِ[3] الوفـاء
هلاَّ رعيتِ وما أراك   رعيتِ حقَّ الأقرباء

العباسة

[بــألم]

ما حيلتي فيما اقترفت   من الأذى وخلقت أنثى
وجدي (لجعفر) ما علمت   وغربـــه ما كان يخفى

---

(١) المطية : كل ما يركب عليه
(٢) شاب : خالط
(٣) السنن : الطريق

وجدٌ كمؤتلق الضرام يمور [(١)] أوجاعاً ويطغى
والصبر صعب ، والهوى دون الأضالع ليس يُطوى
أبغي التعلل والعزاء وأين للعشّاق سلوى
لو كنت أملك حيلة لسلكت أمراً كان أهدى
وتبعتُ ما يقضي عليَّ العقلُ فيما كان أجدى
[تسكت هنيهة وتقول]
أيعيبني ما رحت أبدي من غرامٍ ليس يُطوى
أنا إن أسأت فإنَّ عذري واضح ما كان يُخفى
ما حيلتي فيما اجترحت من الأذى وخُلقت انثى

زبيدة

[بجزم]
حبُّ الديار شريعةٌ ما شابها شوب افتراءِ
هلاَّ رعيتِ وما اراكِ رعيتِ حقَّ الأقرباء

العباسة

[بحزن]
ألَمْ يكُ ظاهراً عذري وعذري غير ملتبسِ [(٢)]

---
(١) مار : اضطرب
(٢) التبس : خفي

هتكتُ الستر عن سري بلا مَيْنٍ[1] ولا دَنَسِ
بسطتُ يدي على ثقةٍ فضعتُ وضاع ملتمسي
وكنت كمن يُرجِّي الفيءَ والأنداءَ من يَبَسٍ[2]
عزيزٌ أنْ أغضَّ على القذى أجفان مبتئس
وأحمل منك ما حُمِّلتُ من هَوَجٍ ومن هَوَسٍ[3]

[تتابع غامزة بزبيدة]

أذنبي أن سحري عبقريٌّ غير مقتبس
عَلامَ إذا تغنَّى مادحٌ بصبايَ في الغلسِ[4]
وجدتِ[5] عليَّ من كمد ومن حقد كمفترس
وثرتِ وليس في وطنٍ هواكِ ومعهدِ دَرِسِ
جعلتِ هوى الديار ذريعةً للكيد في الغلس
وكان مناكِ إذلالي لحقدٍ جاش كالقبس

---

(١) المين : الكذب
(٢) اليبس : اليابس من كل شيء
(٣) الهوس : الجنون ، الوسواس
(٤) الغلس : الظلمة
(٥) وجد : حقد

(زبيدةُ) هلْ خشيتِ اللهَ في آهات مبتئسِ

[تخرج العباسة غاضبة وتتمشى زبيدة وهي تقول]

هيهـــاتَ أُعطي مقودي لهواجسٍ رعنـاء جهـلا
أجزي الخصوم على الأذى وأثيب عند البذل بذلا
حُمِّلتُ أعباءَ الأمانة كالرجال وكنت أهلا[1]
لم يطغني ترفُ القصور ويُنسني وطناً وأهلا
أفـــدي العشيرةَ بالفؤاد وقلَّ هذا البذل بذلا
حقٌّ العروبة لا يُشاب يقينه بالبطل أصلا
هو في الرقاب أمانـــةٌ ليست على الايام تبلى

(١) أهل : جدير

المشهد الخامس

[تدخل مهدية وبيدها ورقة وتتقدم من زبيدة]

زبيدة

من أين

مهدية

جئت بما يفوق المـــرَّ من قولٍ مريرِ
شعرٌ تروق لسامعٍ آياته أبد الدهور
تُصغي له مأخوذةً ببيانه أذنُ الضمير
وتغصُّ من شَجَنٍ له مقلٌ بمدمعها الغزير
الشعر معجزة البيـان البكر في شتى العصورِ
لم يبق بعد الوحي مِنْ نبأ السماء سوى الشعور

[تأخذ زبيدة الورقة وتقرأ شعراً لأبي العتاهية اقترحته عليه في التحريض على البرامكة]

زبيدة

[مبتسمة]

ما كان (اسماعيل)[1] غير النسر حلّق في الفضاءِ
هو أمــة في شعره بين الورى دون امتراء
يتصيد المعنى تصيّـد قانص جمّ الدهــاء
ويشيد كلَّ ممرَّدٍ[2] عالي السناء من البنــاء
شعــرٌ يشبُّ بثاقبٍ كالشمس في رحب الفضاء
تتقادم الدنيا وشرخُ[3] قصيدِهِ جمٌّ الرواء[4]
سيذيق هذا الشعرُ (جعفر) غصةَ الداء العياء
ويكونُ نصلَ السيف يفري في رقاب الأدعيــاء

(١) اسماعيل : هو الشاعر ابو العتاهية
(٢) الممرد : العالي من البناء
(٣) الشرخ : أول الشباب
(٤) الرواء : الحسن ، البهاء

[تسكت قليلا ثم تقول]

كرهي (لبرمك) في الضلوع ... النار تفري في الخفاء
أنا إنْ كرهتُ الفرس لم ... أشطط بكرهي أَوْ عدائي
أطماعهم كالبحر يعصف ... بالضغائن والبـــلاء
هيهاتَ تنعم بالكري ... أجفان (فارس) في مساء
وخلافة الاسلام تحكي ... الطود راسخة البنـاء
أوَ لَمْ يكونوا الداء يفري ... بالأضالع في خفـــاء

[يسدل الستار]

الفصل الثالث

• ـ العبــاسة

المشهد الاول

[هارون الرشيد على عرشه وحوله بعض البطانة وجعفر البرمكي بين يديه ؛ يقرأ له احد الكتبة اوراقاً واردة له من الامصار ؛ يقدم له الورقة المدسوسة من زبيدة]

الأبيات

هذا ابن يحيى جعفرٌ قد غدا مِثلَكَ ما بينكما حدٌ (١)
أَمركَ مردودٌ الى أمرهِ وأَمرُهُ ليسَ له ردٌّ
ونحنُ نخشى أنه وارثٌ ملكَكَ إنْ غيَّبك اللحدُ
ساواكَ في الملك فأبوابُه آهلةٌ يعمرها الوفدُ
وما يباهي العبدُ أربابَه الاّ اذا ما بطر العبد

« لأبي العتاهية »

---

(١) هذه الابيات الخمسة وردت في كتاب التحف والهدايا للخالديين ويقال انها من نظم ابي العتاهية .

الرشيد

[الى بطانته]

ما كان بالقول الرخيص ... تُحَلّ معضلة الأمورِ
تصريف أعباء السياسة ... ليس من عبث الأمور
من دونها تجد الرجالَ ... تغصُّ بالداء المرير
أين القريض من السياسة ... والخرير من الهدير
ما كنت تلقى في بحور ... الشعر من خطب كبير
وترى السياسةَ بالأذى ... عصفت وماجت بالنكير
إنّ الحكومة لا تقوم ... على الدسائس والغرور
الحكمُ فهمٌ للأمور ... وحمل أعباء الأمور
والجد في كيد الوغي ... والبذل للعافي [1] الفقير
أنا لا أعير السمع للنمّام ... يوغر في الصدور
أزِنُ الامورَ ولا أضيق ... بها بميزان الضمير
ليس (البرامك) غير درع ... الملك في اليوم العسير

---

(١) العافي : طالب الجود

أنصارنا دونَ المغــير على الشدائــد والمغير
نصروا الخلافة بالنفوس ولم يضنُّوا بالكثــير
فليتــق اللهَ الوشاةُ ويحذروا وخز الضمير

جعفر

مولايَ أسديتَ أهلي من فيض جدواك جزلا[1]
أَنزلتــهمْ في مــكانٍ طال السمواتِ فضــلا
نُعماكَ لم تبــق أهلاً لنــا ولم تبــق خلا
صَيَّرتَ كلَّ صديق لنا من الحقد صِــلاّ[2]
وبات من كان حلفــاً لنــا يراوغ ختلا[3]
حالٌ من الناس ليستْ أوشابُها العمرَ تبــلى

[يسكت ، ويتابع]

ما كنت أبغي رحيلاً الى (خراسان)[4] أَصلا

---

(١) الجزل : الكثير (٢) الصل : الثعبان الخبيث
(٣) الختل : المراوغة ، الخديعة
(٤) خراسان : بلاد قديمة في آسيا أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وآخر حدودها مما يــلي الهند وكرمان ، وتشتمل على امهات من البلاد منها نيسابور وهراة وطالقان

لكنْ رأيت ذهــابي   وشدَّ رحــليَ أولى
مولايَ كان فراري   خوفَ الوقيعة َحــلاّ

الرشيد

[بلوم]

هيهــات َيخدعني الوشاةُ   بــبهرج من كاذبِ
َهوّنْ عليك ولا تضقْ   صدراً بنــأمة عاتبِ
تسع المروءةُ ما يضيق   بـه جنانُ الغاضب
مــاذا يضيرك قادح   ينعي عليكَ بكاذب
والصبح لا يذري بـه   قَتَــمٌ ، وليس بعائب

جعفر

إني أَجلك أَنْ تصيخَ   بسمــعٍ لمنافــقِ
لكنْ سئمت من الوشاة   ومن نعيــقِ الناعق
ورأيتُ في البعد المعينَ   على الشجون لخافقي
مولايَ ضقتُ بحاسدٍ   ومخاتــل وبمــارق

حسبي الذي جرعته من كل خب[1] فاسق
قد آن لي أنْ أستريحَ وأنْ أرق اخافــــقي

الرشيد

[بحزم]

عجباً أتبغي راحةً والملكُ أعباءٌ وجهدُ
ليس السياسةُ مغنماً لكنَّها سعيٌ وجد
عهدي (بجعفر) لا ينوء له على الأحداث زند
ما بـــاله متهيبـــاً والحرُ في الأرزاء جلد
تتفاوت الأقدارُ بالمسعى إذا ما جدَّ جدُّ
لولا المشقةُ لاستوى في المجد غطريف[2] ووغد
إني اصطفيتك صارماً في حـده للهزل حـد
ويداً تعين إذا دجا خطب ومن أزري تشدُّ

الرشيد

[ينظر بقسوة ويتابع]

(الرومُ) دونَ تخومنا بحرٌ ، له جزرٌ ومدُّ

---

(١) الخب : المخادع ، الماكر (٢) الغطريف : السيد الكريم

يتحفزون وفي النفوس　　من اللظى شجنٌ وحقد
لو أمكنتهمْ فرصةٌ　　لرأيتهم للزحف شدّوا
أنا لا أقرك بالذي　　أمّلته وخبطت تعدو
إنَّ الكريم على احتمال　　الخطب يوم الروع جَلْد
ما الملك غير حصيلةٍ　　للسعيِ يجنيها المجدُّ
فانهض فانَّ الملكَ في　　الأعناق ميثاقٌ وعهد

جعفر

[بانكسار]

مولايَ صفحكَ لم أكنْ　　عن واجبٍ أبغي فرارا
أنا سرحةٌ ، لك فيئُها　　وعلى عداك تفحُّ نارا
إني وقفتُ على رضاك　　النفس طوعاً واختيارا
أأخون عهدكَ جاحداً　　أوْ أنثني عنك ازورارا
إني اذنْ خنتُ الأمانة　　ناكثاً وأتيت عارا
مولاي صفحك إن عثرت[1]　　وقيتَ بالروح العثارا

---

(١) عثر : زل

[يخرج جعفر مهموماً؛ الرشيد يقول لمن حوله]

الرشيد

لا ترتجوا من جانبي يوماً على الاهمال عذرا
إنّ الكفاءة وحدها رفعتْ لكمْ شأناً وقدرا
خلوا التواكل[1] للضعيف وألهبوا العزمات جمرا
فالعجز يذري بالرجال ويبخس الأخيار قدرا
إنّ المعاليَ مغرمٌ من دونه الأعناقُ تُبرى
والحر من طلب المزيد من العلى مجداً ونصرا

[يشير للحاشية بالانصراف
ويتأمل في البعيد ثم يقول]

أَجدُ الأمورَ خلاف ما أبغي على شططٍ[2] تسيرُ
برح الخفاء ولم يعد بالسر ما يخفي الضميرُ
أطماعُ (فارسَ) كالزمان قديمةٌ ليست تبور[3]
من دونها تبلى العصور وليس تبليها العصور

(١) التواكل : الكسل
(٢) الشطط : الجور
(٣) بار : فني

وهل البرامك غير (فارس)   لو تكشفتِ الأمورُ
لانتْ ظواهرهمْ وفي   الأكباد خطبٌ مستطير
حِقْدٌ اذا كتم اللسانُ   مداريـاً نمَّ الضمير
لا بدَّ من طعنٍ يشيب   لهوله الطفـلُ الصغير

[يتمشى قليلا ثم يخرج]

المشهد الثاني

[يدخل الفضل بن الربيع ومعه مساعده زيد]

زيد

برح الخفاءُ وحصحص[1] الحقُّ المبينُ المشرقُ
كيدُ (البرامك) للخلافةِ يا أميرُ محققُ
أَشياعُهمْ سيل المنية بالأذى يتدفق
ودعاتُهمْ ملء الفضاء لسانُ سوءٍ ينعق
هل بعد ما قام الدليل لهم لسان ينطق
الحق أبلج[2] كالضحى والبطلُ ليلٌ مطبق

(١) حصحص : ظهر
(٢) أبلج : أشرق

الفضل

للقصر آذانٌ (لبرمك) لا تــني تــتسمَّعُ
تتسقــط الأخبــارَ دائبــةً لا تتــورَّع
وتكاد تلقط ما الهواجس في الضمائر تصنــع
حاذرْ فخلفك أعينٌ بضراوة [1] تــتطلع
وكأنّها حدقُ النجوم على المــدى لا تهجع

زيد

أوجزت لي عن (برمك) نتفــاً تُثير وتُفزعُ
عجباً أفي قصر الخلافة للــدسائس مربــع
عهدي (بهرون الهدى) سيف المنيــة يسطع
لا يأتلي يفري بأعناق الطغــاة ويقــطع
أوَليس (برمك) علةً لا تستكين وتهجــع
والداءُ يحسمُ حــينَ يستشري [2] آذاه وينزع

---

(١) الضراوة : شدة الفتك
(٢) استشرى : اتسع

الفضل

بعضُ التغافلِ فطنـــةٌ لا غفـــلةٌ وغبـــاءُ
الحزم ليس بقسوةٍ بـــل حنكةٌ ودهاء
تقضي السياسة ما يراه العقـــل لا الأهـــواء
ما كلُّ رفـقٍ علـةٌ وفتورٌ ولا استخذاء[1]
هونْ عليك ففي الليان كيـــاسةٌ ومضـاء
ولكمْ برفقٍ عزَّ ملك واستطـال بنـــاء

---

(١) استخذاء : شدة الضعف

المشهد الثالث

[تدخل صالحة مرافقة العباسة مستطلعة]

صالحة

[الى الفضل]

هل من جديدٍ والامير حديثُهُ أبداً جديدُ

الفضل

[بخبث]

ماذا أقصُّ وفي السما عيدٌ ودونَ الارض عيدُ
ولكل ساجعةٍ[1] لوسوسةٍ[2] علـى غصن نشيد

[يسكت ثم يتابع غامزاً]

إنَّ امرءاً يُنمى (لهاشم)[3] نَجْرُهُ لفتىً سعيدُ

(١) الساجعة : كل مطوقة (٢) الوسوسة : الصوت الخفي
(٣) هاشم : جد الرسول (صلعم) واليه ينتسب الهاشميون

منا الرسولُ وحسبنا شرفاً إذا ذُكر الجدود
وبنا استطالت للخلافة أغصنٌ واخضرَّ عود
من مثل (عبدالله)[1] للجُلّى اذا عصف الحديد
أو كان (كالمنصور)[2] في اللأواءِ[3] يهدم او يشيد
أو كان (كالمهديِّ)[4] بذلاً حين يمنح أو يجود
أو (كالرشيد)[5] ومثله في الارض قد عزَّ الرشيد
تلكمْ ذؤابةُ[6] هاشم وبمثلها عَذُبَ القصيد

صالحة

من ذا ينازع هاشماً في سؤددٍ ويفارعُ
أوْ من يجادل في الضحى والصبح أَزهر ساطع

الفضل

ليس اختلاف الناس مرجعه لجهلٍ في الامور

---

(١) عبدالله : الخليفة العباسي السفاح
(٢) المنصور : ابو جعفر المنصور المؤسس الفعلي للخلافة العباسية
(٣) اللأواء : الشدة
(٤) المهدي : والد هارون الرشيد
(٥) الرشيد : الخليفة هارون الرشيد
(٦) الذؤابة : الناصية

إن الحقائق غير خافيةٍ على عـــين البصير
لكنَّها الاطماع ليلٌ دامس مـلء الصدور
عَمِيَ البصيرُ فراح يخبط في دجاها كالضرير
[يقف وينظر اليها ويقول]
ما كل جهل بالمشين وليس بالضرر الخطيرِ
لكنَّ مأساة الحياةِ مردُّها موتُ الضمير

صالحة

ما كنت تعني في خطابكَ يـــا أميرُ وتقصدُ
بعضُ العتاب السُمُّ يرشح[1] غربُهُ المتوعدُ

الفضل

ما عاد سراً ما تقوم بـه الغلاةُ وتُرجِفُ
هُمْ أشعلوا الاحقاد نيراناً تمور وترعف
وجروا بكلِّ نميمةٍ عنتـــاً ولم يتعففوا
في صَدرِهم كرهٌ كمسوَدٌ الدجى لا يوصف

---

(١) رشح : عرق

يبغون شيئاً دونـــه مهجُ الورى تتخطفُ
أنا إنْ عتبت فمشفقٌ لا قاسط[1] متحيـــف
إنْ باعدتْ ما بيننا دار وأرجف[2] مرجف
فالدين يجمع شملنـــا بربـــاطه ويؤلـــف

صالحة

لا تغـلُ في حكمٍ ففي الافراط ثمَّ تعسُّفُ
فرط الغلوِّ مع الحقيقة يـــا أَمير تحيُّـــفُ
تأبى الحقيقة ما ينمِّقُ من غُلُـوٍّ مرجـــف
والجود إنْ بلغ المدى سرفٌ يشين ويُتلف

الفضل

[بهدوء]

ماكان من طبعي الغُلُـوُّ بمـا أَقولُ وأَفعـــل
أَصف الأمور عـــلى حقيقتهـا ولا أَتقـول

---

(١) قاسط : ظالم
(٢) أرجف : كذب

وإذا نظرتُ فانني أَزِنُ الأمورَ وأعقلُ
لا غاشم متعنتٌ أوْ مسرفٌ متبذلُ (١)
أَقضي بما كانتْ تحتمه الأمور وأَفعل
وأصنف الأشياء عن فهمٍ ولا أتعجل

[ينظر بمعنى ويقول اليها]

أنا إن أطلت فمشفقٌ فيما أُطيل وأُجملُ
إنَّ الفجيعةَ لم تعدْ سراً على من يعقل
والنار من خلفِ الرمادِ بكل قطر تشعل
تكفي الاشارة فالأريب من الاشارة يعقل

[ينسحب الفضل وصالحة]

---

(١) المتبذل : المستهتر

المشهد الرابع

[يدخل الرشيد والى جانبه زبيدة وهو مفكر]

زبيدة

أَرى في العين ما يغني		عن الاسهاب إفصاحا
تكاتمُ في حنايا الصدر		أشجاناً وأتراحـــا
وتخفي لاعجاً للداء		لا ينفكُّ ذَبّاحا
فما يشجيكَ والدنيـا		تفيىءُ[1] ندىً وإِصباحا
وعاد يزفُّ (آذار)		مع الأطيار افراحا

الوشيد

ان المتاعب ما علمتِ		بجنح ليلٍ تزحفُ

---

(١) أفأ : أظل

والخطب جلَّ دقيقُهُ فينا وشطَّ[1] المنصفُ

[يقف متفكراً ثم يقول]

يا ابنةَ العمِّ تشاكينا بما فيه الكفايهْ
حسبنا من قصص الناس عناوين الحكايهْ
ليس مكرُ القوم أمراً مستجدّاً في الروايهْ
ما لنا ننكيءُ أوجاعاً بلا جدوى وغايه
إنما الناسُ همُ الناس ابتداءً ونهايه
شأنهمْ شأنٌ قطيع في ضلال وغوايه
قَدَرٌ ما منه منجى في انتهاءٍ وبدايه
ما لنا ننكيء أشجاناً بترديد الشكايه

زبيدة

يا بْن عمي جرُحك الدامي جروحي وكلومي
كلُّ ما يشجيكَ يشجيني ويُذكي[2] من همومي

---

(١) شط : بعد
(٢) أذكى : أضرم

بيننا من سبب القربى ولاءٌ مــن قديمِ
نحن من (عباسَ)[1] يامولاي في الفــرع الصميم
وهوانـــا واحدٌ في كلِّ تدبيرٍ حكيم
لم يكنْ ملكُ بني العبّاس أضغاثَ نـؤوم
شاده (السفاح) و(المنصور)[2] بالخلق القــويم
بذلا من دونـه كلَّ عظيم وجسيم
ملكُ آباءٍ كرام درجوا منذ القديم
وتراثٌ عبقـريٌّ لعشيري وحميمي

الرشيد

عرش الجدودِ أمانةٌ من دونها عذبَ الحِمامُ
تقضي المروءةُ صونَ ما شاد الجدودُ وما أقاموا
ما صان ملكاً عن أذى في غابرٍ إلاَّ الحسام
نبني كما بنتِ الجدودُ وفي الحوادثِ لا ننام

(١) العباس : الجد الجامع لبني العباس وهو عم الرسول (ع)
(٢) السفاح والمنصور : هما مؤسسا الخلافة العباسية

نضعِ الأمورَ كما المروءةُ تقتضيها والذمامُ
نجزي العُفاةَ بصَيِّبٍ إنْ ضنَّ عن سكبٍ غمام
ولنا اذا ما جدَّتِ اللأواء[1] للشرِّ اصطلام[2]

زبيدة

[بحماس]

أَجدُ الممالكَ بالدسائس جمرةً تتوقدُ
وبكلٍّ ربع للنميمةِ عازفٌ ومزغرد
هذا طليقك[3] يا ابن عمي لا يني يتوعد
أذكى السخائم[4] مارجاً ملء الجوانحِ يُرعد
ومضى يُحَبِّرُ بهرجاً من فتنةٍ ويُرددُ
تلقاه يُتهمُ[5] بالوقيعة في البلاد وينجد[6]

---

(١) اللأواء : الشدة
(٢) اصطلم : قلع
(٣) الطليق : تعرض بيحيى العلوي
(٤) السخائم : الأحقاد
(٥) اتهم : دخل تهامة وهنا استعملت مجازاً
(٦) انجد : دخل نجداً وهنا استعملت مجازاً

ووراءه للسوء ألسنةٌ تُسلُّ وتغمــــدُ
ترمي فيصمي سهمُها بجوائح لا تنفد[1]
إن الخيانةَ ما أخافُ من الذي يتودد
حاذرْ خيانةَ معشر أطماعهمْ تتوقـــد
أطماع (فارسَ) كالزمان على المـدى تتجدد
ولنا بسيرة من مضى عظةٌ تُقصُّ وتُنشد
ما أمسِ الاَّ اليـوم قـام ببهرجٍ يتبغدد
وغدٌ لهذا اليوم صورته الـتي تتجدد

الرشيد

لا يفزَعنَّك ما يقوم اليوم يحيى[2] من فسادِ
أشياعُنا زحفت تكرُّ وراءه زحفَ الجرادِ
هيهـات يحميه الفرارُ ودونَ ذا خرط القتاد[3]

---

(١) نفد : فني
(٢) يحيى : يحيى بن عبدالله العلوي خصم الرشيد
(٣) القتاد : شجر صلب له شوك

سيفُ الخلافة كالقضاء مهيمنٌ دون العبـــادِ
كيف النجاة من القضاء لهاربٍ عند الطراد

زبيدة

ما كان يحيى مَنْ تصارعُ يا ابن عمي أوْ تعادي
مِنْ خلفه شِيَـعٌ تنادوا للوقيعة والفساد
فجنوبُهمْ من لاعجٍ لا تستقرُّ على وساد
وجفونُهم كُحِلتْ مِنَ الاحقاد في نار السهاد
وبصدرهمْ حِمَمٌ تزمجر بالتهابٍ واتقاد
حسبي وقد أدَّى اللسانُ بما يجيش به فؤادي

الرشيد

[بتؤدة]

حقُّ الخلافة من حقوق الشرع ما فيه امتراءُ
للمارقين شبا الأسنةِ حيث حَلُّوا والعفاءُ
ما كنت أغفر للجناةِ على القرابة إنْ أساؤا
لكنَّ ظلمَ الناس تـأباه الشريعة والسماء

إنَّ الحياةَ أمانة لا تُستباحُ كما نشاءُ
قد حَرَّمَ اللهُ الدماءَ وحرمتها الأنبياء
هيهات أسْفِكُ أوْ أريق دماً تحرمه السماء
إنَّا نجازي المعتدين على العقوق كما أساؤوا
ونثيبُ مَنْ وَفّى الحقوق كما يُحتمه الوفاء
عندي الثوابُ لمحسن ولديَّ للعاتي الفناء

[يسكت الرشيد ويحدق قائلاً]

إنَّ السلامة في الأناةِ وليس في عَجلٍ نجاء

[تخرج زبيدة ويبقى الرشيد متأملاً]

المشهد الخامس

[يـدخل الفضل ويقف
قريباً من الرشيد ساكناً]

الرشيد

أفي الوفاضِ جديدٌ   أمْ ليسَ ثَمَّ جديدُ
هيهات يغـني سؤالي   أوْ ينفـع الترديد
والداء ليس بخـافٍ   قديمـه والجديـد
متاعب الملك شَتَّى   يشيب منهـا الوليد
ودونهـا كلُّ طودٍ   من السقام يميـد

[يقدم الفضل كتاباً الى الرشيد ويقول]

مولايَ هـذا كتابٌ   وَشَّاه(١) يحيى (لجعفرْ)

---

(١) وشى : نمق ، زين

تلقى الخيانـة تسعى دون السطور لمنكرْ
والغدر في كل لفظ له من الكيد خنجر

[يتمعن الرشيد بالكتاب ويقول]

أتيتـــني بدليـــلٍ كساطعٍ من ضيـاءِ
ما في دليلـكَ لَبْسُ أوْ فيه محضُ افتراءِ
الحجةُ الحقُّ قامتْ كالنجمـــة الزهراء
دمغتَ (برمك) فيها باللطخة السوداء
وكنتَ دونَ مناهمْ رزءاً من الارزاء
ثللتَ [١] مـا رفعوه من بهرج ورياء
وعاد ما شيَّـدوه على الثرى كالهبـاء
ما كنتُ غـير قضاءٍ رمى بسهم قضاء

[يسكت الرشيد ويقول الى الفضل]

كيدُ (البرامك) ليلٌ يجيش بالأدواءِ
يا فضلُ حاذرْ أذاهمْ بحيطةٍ ودهاء

---

(١) ثل : هد

إن السياسةَ فهمٌ لغامض الأشيـــاءِ
والرفق في النعماء والحزم في البلواء
وسبر كلٍّ خفيٍّ بثـــاقب كذكاء [1]

الفضل

سبرتُ [2] كلَّ خفيٍّ (لبرمكٍ) من قديمِ
أخادعُ القومَ جهدي بكل ودٍّ سقيم
أبدي وداداً وأَخفي لهمْ شواظَ [3] جحيم
بسطتُ كفَّ حميمٍ لهمْ لدفع جسيم
وكنتُ أقذف سهمي من دونهمْ في الصميم
وكنتُ منهمْ كظلٍ في الظعنِ [4] والتهويم [5]
ولو قدرت حبستُ الأنفاسَ غير رحيم
سيوفُ مولايَ سُلَّتْ على رقاب الخصومِ

---

(١) ذكاء : الشمس
(٢) سبر : امتحن
(٣) شواظ : ألسنة النار
(٤) الظعن : السفر
(٥) التهويم : اضطراب العنق من تعب السفر

وبات كلٌّ عدوٍ مصيره للجحيم

الرشيد

الحزمُ جهدٌ ومسعى على المـــدى ونضالُ
إنَّ التـــواكل عجزٌ لا يرتضيه الرجـــال
إذا الغرور تمـــادى فكلٌّ طبٍ محال
خففْ من التيهْ واعلمْ أنَّ الغرور ضـــلال
واتبعْ عداكَ بحزمٍ فللعدوِّ نبـــال
وَعُـــدْ اليَّ مساءً فلي اليكَ مقـال

[يخرج الفضل ويسترسل
الرشيد لهواجسه ويقول]

إنَّ الدليـــلَ جَلِيٌّ لمنْ يروم الدليلا
الحق فجرٌ مبينٌ لا يقبـل التأويـلا
والحزمُ يأبى انتظارا أوْ حـــيرةً وذهولا

المشهد السادس

[تتقدم العباسة برفـق من الرشيد
فيلتفت اليهـا فتبادره بقـولها]

أخي إني عقدتُ عليك أطماعي وآمالي
وهل في ذاك من حرجٍ وأنت منارُ أجيالِ
مددتُ اليكَ ضارعة يداً ناءت (1) بأغلال
فهلاَّ سيدي خففتَ عني بعضَ أثقالي
مطامعُ لم تزل في النفس عالقـةً بأذيال
أعندكَ ثَمّ متسعٌ لأوجاعي وأقـوالي

الرشيد

إني لمصغٍ يا شقيقةُ بالمسامع والضمير

(1) ناء : تعب

قلبي الذي وسع الرعية   في الخطير من الأمورِ
أَيضُنُّ عنكِ بعطفه   ويضيق في بذل اليسير

العباسة

[بتضرع]

أمينَ الله ليس سواكَ   للاسلام مـن حصن[1]
نؤمل فيك أضعاف   الذي نأمل في المزن[2]
فلا تقبضْ يداً بخلاً   عن الجانين من ضغن[3]
وشائج[4] منك عالقـةٌ   كغصنٍ لُزَّ في غصن
نُرَجِّي منك في اللأواء   إحساناً بـلا مَنٍّ
بنو الأعمام[5] حين الجد   أَنصارٌ وفي الطعن
أمين الله خذْ بالعطف   جانيهمْ وفي الأمن
فليس سواك للاسلام   حين الخطبِ من حصن

(١) الحصن : المكان الحريز
(٢) المزن : المطر
(٣) الضغن : الحقد
(٤) وشائج : جمع وشيجة وهي الوصلة والعقدة
(٥) بنو الأعمام : هم بنو طالب

الرشيد

أَلمستِ غير مَوَدَّة مني لأصحابي وأهلي
كَمْ عاثرٍ ضلَّ السبيل أقلته[1] عثرات جهل
وهديته سبلَ الرشاد لمنطقٍ فصلٍ وفعل
قلبي الذي وسع الورى أيضيق عن صحبي وأهلي

العباسة

أتيت أطلب صفحاً لعاثر وحنانا
فلا تضقْ بمسيىءٍ أتاك يبغي أمانا
أثار (يحيى) لعمري من الشجا ألوانا
وراح يقدح ناراً مشبوبةً ودخانا
لكنَّ عدلك يضفي على الأذى إحسانا
ويغفر الذنب حتى يستأصل السرطانا
إنَّ القرابةَ عهدٌ والعهد كان مصانا

الرشيد

إن القرابة عهد لمنْ يصون العهودا

---

(١) أقال : أعان

الرشيد

إنَّ القرابة عهـــدٌ لمنْ يصون العهـودا
وما رأيت (ليحيى) عهداً وخلقاً حميـدا
سعى لتقويض عرشي تَجَنّياً وجحودا
وراح يوقـــد ناراً ويستثير حقودا
أثار في كلِّ صـــدر جوىً وأورى[1] كبودا
وهبَّ ينشر أفكاً منمّقـــاً ووعودا
إنّ المروءة تأبى تواكلاً[2] وخمودا
والحلم في غير أهـــلِ الوفاء ليس حميدا

العباسة

مولايَ ليس لصفحٍ إذا عزمتَ حدودُ
صدرُ المروءة أفْقٌ مثـــل الفضاءِ مديدُ
وهلْ يضيق فضـــاءٌ بعاصفٍ ويميـــد

---

(١) أورى : اشعل
(٢) تواكل : عجز

مولايَ لا شيء يبقى ولا تدوم سعودُ
يبلى الشبابُ ويفنى على الزمان ، الجديدُ
ولا يدوم ثراءٌ أو عدة وعديد
وكل صرحٍ سيبلى على المدى ويبيد
ولا يبيدُ ثناءٌ يُتلى ، وفعل حميد

الرشيد

[بمكر]

هل كان عطفك خالصاً للهِ أمْ تبغين أمراً
ماكان (يحيى) مَنْ عنيتِ وانما تخفين سِرّاً
إنَّ الذي يحمي المسيءَ أحقُّ في لومٍ وأحرى
ومؤججُ الأحقادِ مِنْ ليثِ الشرى أعدى وأضرى
والمرءُ يُجزى سعيه عن صالح ويُثاب أجرا
لولا العقوبة لم يسدْ أمنٌ وبات السهل وعرا

[ينظر الى العباسة بقسوة ويتابع]

ما كلُّ صفحٍ جالبٌ حمداً لصاحبه وفخرا

ولربَّ صفحٍ أشعـــل الأمصارَ أحقاداً وجمرا

[أهازيج تتعالى في الشارع يقترب منها الرشيد]

العباسة

[لنفسها]

مالي جبنتُ عن الكلام وحرتُ في أمري كطفلِ
لِمْ لا أصرحُ بالأمـور على حقيقتهـــا وأدلي[1]
إني قصدت حمى (الرشيد) لاستميح حيـــاة بعلي
وأردُّ بالنفس الشحيحة كيد ذي ضغنٍ وختل
فإذا لسانيَ عاجزٌ عن شرح أوجاعي وغلي[2]
حالي كمثل سحابـــة في الأفق تخبط خبط جهل
لا يستقرُّ قرارُهـــا في مهجعٍ أوْ فيىء ظلٍّ
تُطوى و تُنشر في الفضاءِ الرحب خانعـــة بذل
أنا لستُ غـــير سحابةٍ حيرى تَخَبَّطُ خبطَ جهل

---

(١) أدلى : نطق
(٢) الغل : الحقد ، الظمأ

[يرجع الرشيد ويتأمل العباسة قائلا]

إني لألمح دونَ عينكِ للشجونِ شواهدا
وأرى بعينك عاصفاً للحزنِ يجأر حاقدا

العباسة

[بضراعة]

مولايَ لم يكُ (جعفرٌ) الاّ النصيحَ المؤتمنْ
أعطى على قدر المروءةِ في الرخاء وفي المحنْ
واليوم يسألك القليلَ لدرءِ عاديةِ الزمن
إنّ الولاية خيرُ ما يُجزى الأمين من الثمن

الرشيد

[بحزم]

لا يستقيم مع الهوى أمرٌ ولا حكمٌ يدومُ
الملك أعباء ينوء بوقرها[1] الفَطِنُ الحكيم
ليس السياسة بالمنى كانتْ تُساس وتستقيم

---

(١) الوقر : العبء

من دونها شَقيِ الكريم   وضاق من جهد حليمُ
خلِّ السياسة للرجال   فإنّها الداءُ العقيم
لا تستقيمُ لعاجزٍ   وَكِلٍ[1] وما كانتْ تقوم
أزِنُ الرجالَ على   حقيقتها كما تقضي الحلوم
وأُثيبُ محسنهم واجزي   من أساء ولا أخيم[2]
إنّ السياسة حنكة   من دونها يعيا الحكيم
أختاه ليس مع الهوى   حكم يدوم ويستقيم

[يسدل الستار]

---

(١) الوكل : الجبان
(٢) خام : جبن

الفصل الرابع

زب لالمشهفا ا

المشهد الاول

[في قصر جعفر البرمكي ، فيروز ، جمشيد ، بعض حاشية جعفر]

فيروز

[إلى جعفر يستعجله بالفرار إلى خراسان]

سئمتْ نفوسُ القومِ مِنْ   صبرٍ ومن طول انتظارِ
وتململتْ أسيافُهمْ   في الغمد من ظمأٍ لثارِ
ما كان من طبعِ الأسود   تمهلٌ عند البدار
ما في التريث ، والأذى   بلغ الزبى (١) غيرُ الشنار
والماءُ يأسنُ إنْ توقفَ   عن مسيرٍ وانحدار
وتراه يعذبُ ما جرى   تيّارُهُ دونَ القفار

(١) الزبى : جمع زبية وهي الرابية لا يعلوها ماء

ناداكَ قومُكَ يا أميرُ   بِدارِ للجُلّى بِدارِ
وارفعْ بسيفكَ رايةَ   الأحرار وانهضْ للفخارِ

جعفر

[متفكراً]

هلْ كنتَ من أمرِ الرجال   على يقينٍ حاسمِ
ليسَ (الرشيد) طريدةً[1]   كانتْ تُتاح لغانم
رأيُ الرشيد كقلبه   يقظانُ ليس بنائم
وحسامُهُ القدرُ المتاح   يحزُّ دونَ غلاصم[2]

فيروز

ما مكرُ (فارسَ) أمرُهُ   بالمستجدّ ولا اليسيرِ
إنّا لبسنا الدهرَ لبْسَ   مجربٍ فَطِنٍ خبير
عركَ الأمورَ ولم يضقْ   ذرعاً بمعضلةِ الأمور
لم يَطْغِهِ ترفُ القصور   كشأنِ ابناءِ القصور
وتراه في جدّ الأمور   يكرُّ كالأسد الهصور

---

(١) الطريدة : ما طرد من صيد أو غيره
(٢) الغلاصم : رأس الحلقوم

[يتابع بحماس]

مولايَ ليس (الفرسُ) بالشعب المهانِ أو الحقيرِ
أوْ مكرهمْ عند النضال بهـــينٍ أوْ باليسيرِ
تاريخنا شرفُ الرجولةِ ليس يخفى عن بصير
ملأتْ روائعُـهُ الدهورَ ولم يزلْ شغلَ الدهورِ

جعفر

[بهدوء]

إن الحميـــةَ في الفتى تُعزى الى نبل الشعورِ
لكنَّما الاغـــراقُ في فرط الحميـة من غرور
فَشَلُ الفتى من عثرةِ الأهواء والرأيِ الفطير

جمشيد

[إلى جعفر]

الركبُ ينتظر الاشارةَ يا ابن يحيى للمسيرِ
هلاَّ أجبتَ نداءَهمْ ومضيت للأمرِ الكبير
من كان غيرُكَ قائـداً في الكرِّ واليوم العسير
عجلْ فإنَّ الركبِ ينتظر الاشارةَ للمسير

جعفر

[بتنهد]

ما كان طولُ تريثي   يا قومُ عن خوفٍ وذعرِ
أخشى على قومي الوبار[1]   إذا فشلتُ وخاب أمري
لو أنَّ (فارسَ) تفتدى   بدمي بذلتُ دمي ببشر
لكنْ أخاف إذا فشلت   على العشيرةِ عبءَ وزري
وأخاف سيفاً للخليفة   مصلتاً[2] كالموتِ يفري

[يسكت قليلا ويقول]

أنا مَنْ تكشَّفتِ الأمور   له ولم يخدعْ بأمر
وسبرتُ أغوارَ[2] الخليفة   دون أنْ أعيا بسَبْرِ
قلب الخليفـة كالحديد   ورأيُهُ ومضاتُ فجر
وإذا رمى ، من دونه   سهم الردى يرمي ويبري
تلقاه يأخـذ بالمسيء   الجارَ من عنتٍ ومكر

[يدخل سيراس مذعوراً]

---

(١) الوبار : الدمار
(٢) اغوار : جمع غور العمق

المشهد الثاني

سيراس

[الى جعفر]

(فَضْلُ) يجدُّ وراءَنا متطلعاً مستخبرا
ما انفكَّ يستقصي الدقائقَ دوننـــا مستفسرا

جعفر

يا قومُ ليس الأمرُ بالشيء الصغير ولا اليسير
الأمـر يخفي ما يشيب لهوله رأس الصغير
(فيروزُ) عجلْ بالفرار لدفـع خطبٍ مستطير
واجمعْ رجالكَ جاهـداً وارحلْ بأجنحـة الأثير
واعقدْ أمورك حازماً بلباقـة الفَطِنِ الخبير
إنْ كان لا بـدَّ الفـداء لدفع غائـــلة المغير

فأنا الضحية والفـــداء عن العشيرةِ والعشير

فيروز

مولايَ ليس بهيِّنٍ خفضُ الجناح لظـــالمِ
كيف السبيل الى الخلاص من الظلام القـــاتم
أنا إن أَطعتكَ بالفرار حملتُ وزر الآثم
واذا عصيتكَ لم أكنْ فيما اجترحتُ بغـانم

جعفر

خَلِّ العواطفَ للضعاف من الرجـال ، وللنساءِ
ما الملـــك الاّ غرسةٌ تُروى بغمر[1] من دماءِ
يحلو لنفسيَ أنْ أكونَ (لفارسٍ) كبشَ الفداء
أوَ ليسَ في صون العشيرة ما يُحَبِّبُ بالعطـــاء
ما ماتَ مِنْ بذل الحياة وجاد طوعاً عن سخـاء
ولربَّ حيٍّ ، خامـلٌ في العين ، أحقرُ من هباء
وكأنّــه لهوانِـهِ[2] في الحكم ضربٌ من فناء

(١) الغمر : الماء الكثير
(٢) الهوان : الذل

إنَّ الثنـــاءَ هو الخلود   وليس في طول البقـــاء
والمجدُ بالدمِ تُجتنى   ثمراتُهُ لا بالرجـــاء

[يلتفت الى فيروز آمراً]

أذِّنْ[1] لركبكَ بالرحيلِ   وسرْ حثيثاً[2] في خفاءِ
إنَّ العـــدوَّ مشمِّرٌ   للكيد والداءِ العيـــاء
(فيروز) عجِّلْ بالفرارِ   وطِرْ بأجنحةِ الهواء
واصدع بأمري للوفـاء

فيروز

أجلْ سأصدعُ للوفـاء

[ينسحب فـيروز وجمشيد وسيراس
ويبقى جعفر ينظر من النافذة الى الليل]

جعفر

[يناجي الليل]

مدَّ المساءُ جنـــاحهُ   دونَ الفضـاءِ الواسعِ
وجرتْ جحافـل للدجى   تعدو بأفق واسعِ

---

(١) أذن : ناد
(٢) حثيثا : سريعاً

من دونها جثمٌ[1] القضاء لريبةٍ كالجـازعِ
والرعبُ في الآفاق أطبق ممسكاً بأصـابع
نام الخـليُّ ولم تنمْ في الصدر عينُ مطامعي
وهواجسي نارٌ ، تلاطم غربُهَا بأضـالعي
نفسي تتوق الى البكاءِ ولا تجيب مدامعي
عينُ الكريم شحيحةٌ لا تستجيب لشـافع
ضنَّتْ بنـزْرٍ[٤] حين جاد الخانعون بهـامع
كمْ للإباء من الضحايا في الفضـاء الواسع
يإبائه شَقِيَ الكريمُ وقرَّ كل مخـادع

[يظل سادراً فتدخل العباسة
وتتقدم نحو جعفر]

(١) جثم : ربض
(٢) النزر : القليل

المشهد الثالث

العباسة

يا جعفر الخير

جعفر

لبيك مولاتي

العباسة

[بهلع]

من أين أبـدأ والحكايـةُ ... مُـرَّةٌ ... كالحنظلِ[1]
إنَّ الروايةَ ما علمتَ ... ثقيلةٌ ... كالجنـــدل[2]
كُشِـفَ الستارُ ولم يعدْ ... مـن مُسْبَـلٍ أَوْ مسدل
ماذا أَقولُ وما لاحزانِ ... الهـــوى مِنْ أول
إنَّ الإفاضـــةَ بالأسى ... عِبءٌ لقلبٍ مثقـل

(١) الحنظل : حب يضرب في مرارته المثل
(٢) الجندل : الحجارة الصلبة

تُغني الاشارةُ في الجوى عن مسهبٍ ومُفصَّلِ
ولربَّ صمتٍ في بلاغته كوحيٍ مُنزَلِ

جعفر

وضحَ السبيلُ ولم يعدْ أَمرٌ خفيٌ مظلمُ
ما جئتِ عن عَبَثٍ إليَّ وكلُّ رابيةٍ دَمُ

العباسة

خوفي عليكَ من الشقاءِ أساغ لي كأسَ الشقاءِ
حقدُ الرجال عليكَ في قتَم[1] الضراوة كالمساء
وسيوفُهمْ للطعنةِ النجلاء سلَّتْ في الخفاء
ماذا وقوفكَ والأمورُ تكشَّفتْ عن كلِّ داء
هلاَّ فررتَ من البلاء لدفعِ عاديةِ البلاء

جعفر

المرُّ في لقياكِ يعذبُ والأسى سَهْلٌ يسيرُ
لكنَّ بعدَكِ وَحْدَهُ من دونه الخطب الكبيرُ

---

(١) القتم : الظلمة

ما كنت أحجمُ في سبيلكَ   عن عطـــاءٍ أوْ فداءِ
لو كنت تسألني الحيـاةَ   بذلتهـا لكَ عن سخـاء
أنتَ الحياةُ وما سواكَ   أراه ضرباً من هبـــاء
ما الدارُ عندي بالديار   وأنتَ عن (بغداد) نائي
نهوى الديارَ لحبِّ مَنْ   سكنَ الديارَ وللوفـاء
أيّ البلادِ حللتهـا   بلدي ، ورفَّ بها رجائي

جعفر

[يضمّها بأسىً]

قَدْ كان لي حلمٌ بعيـدُ   الغورِ كالأفق الفسيحِ
زاهٍ كمؤتلق الضحى   دونَ الخمائلِ والسفوح
هاضَ[1] القضاءُ جناحه   فأسفَّ يضرب كالذبيح
فعطفتُ أرثي للجريح   بدمعـــةِ القلبِ الجريح
ونفضتُ كفي يائساً   ونضوتُ غلواءَ الطموح

---

(١) هاض : كسر

العباسة

في الأرض للأحرار مضطربٌ[1] بعيدٌ واسعُ
ما خاب يوماً مَنْ له سيفٌ جرازٌ[2] قاطع
أتضيقُ ذرعـــاً والفتي من لم ترعـــه زعازع
ما كان من طبع الليوث تخاذلٌ وتراجع
أقدمْ فما يثني الكريمَ عن المروءة مانعُ
وانهضْ فليس بشاسعٍ ما صحَّ عزمٌ شاسع

جعفر

حرصي عليكِ أضلني دربي وأنساني صديقي
لولاكِ لم أنس القريب وما ضللت عَنِ الطريق

العباسة

دربي ودربُكَ واحدٌ إنْ طال أمْ قصر السبيلُ
أأخاف وعثاء[3] الطريق وكنتَ لي نعم الخليل

---

(١) مضطرب : مكان واسع
(٢) جراز : قاطع
(٣) وعثاء : تعب

هيهاتَ يفزعني المصيرُ ودونَ صدرك لي مقيل[1]
كلُّ العذابِ مع اللقاء على ضراوته قليل

جعفر

[بأسى]

إني رسمتُ نهايتي بيدي وكنت بها البصيرا
أَنا مَنْ تكشَّفَ لي المصيرُ ومـا تهيَّبتُ المصيرا
حاولتُ إدراكَ العسيرَ ومـا تخوَّفتُ العسيرا
أَيقظتُ قومي للكبير وكنتُ في سَعْيي كبيرا
حاولتُ بعثَ حضارة للفرس طاولت العصورا
لأُعيدَ سيرة مَنْ مضى كسرى العظيم وازدشيرا
ونفختُ في قومي الشعورَ ولم أزلْ أزكي الشعورا
وقنصتُ[2] ناصيةَ الأمور وما تهيَّبتُ الأمورا
حتى أكون أميرتي في حبِّكِ الكفءَ الجديرا

---

(١) مقيل : حيث ينام المرء في القيلولة
(٢) قنص : صاد

[يسكت قليلاً ويتابع]

لو كان في الوسعِ يوماً الى النجـــوم سبيلُ
لصغتُ عرشَكِ منهـــا ولَمْ يشقّ وصـــول
وأنت تبغين أمـــراً لا يرتضيه نبيل
هيهاتَ أرضى بدونٍ وصارمي[1] مسلول
النـــاس تمضي ويبقى ذكرٌ يضوع[2] جميل

[تدخل أم جعفر البرمكي وتقول]

---

(١) الصارم : السيف
(٢) يضوع : يفوح

المشهد الرابع

[نفس الاشخاص]

أم جعفر

(مسرورُ) جاءك يسعى   مزوَّداً برسالهْ

جعفر

[بقلق]

ما جاء الاَّ لأمرٍ   مستعجلٍ لا محالهْ
يا ليت شعري ماذا   يكون فحوى الرساله

[يدخل مسرور]

مسرور

أتيتُ ولستُ في أمري   بمختارٍ ولا حُرِّ
حُمِلتُ على المجيءِ اليكَ   بالإكراهِ والزجر
وما ذنبي وكنتُ العبدَ   مغلوباً على أمري

جعفر

ماذا عليكَ اذا أَطعتَ   الأمـرَ والمأمورُ عبـدُ
أعربتَ[1] عن قصدٍ ولمْ   يعجزْكَ بالايجـاز قصد

ام جعفر

[صارخة]

ولدي أقيـك بمهجتي   من صَرْفِ عاديةِ الزمنْ
(مسرورُ) ليس مع الأناة   ندامةٌ توري الحَـزَنْ
خلِّ التسرعَ واتّـئـدْ   ما خابَ مَنْ لزم السنن[2]

مسرور

ما كنتُ الاّ العبـدَ   مغلوباً على أفعـالِهِ
أنا رَجْعُ ما يحكي الصدى   في قفرِهِ وجباله
والعبـدُ ليس مخيَّراً   في أمرِهِ وفعـاله

ام جعفر

[بضراعة]

ارجعْ لرأيكَ ساعةً   خوفَ الندامـةِ والألمْ
غضبُ الخليفـةِ طفـرةٌ   تمضي ، ولا يمضى الندم

---

(١) أعرب : أبان
(٢) السنن : الجادة السوية

واربأ بنفسك أنْ تكون صدى بقفرٍ أوْ أكمْ
إنَّ الخليفةَ كالزمانِ به الضراوةُ والنِعَمْ
حيناً يروع كعاصفٍ وتراه يعذب كالنغم
فخذِ الامورَ بحكمةٍ عند الرخاء وفي النقم

العباسة

[الى مسرور]

أنا من سيسعى للشفاعةِ فانتظرْ مقدارَ ساعَهْ

مسرور

[واصوات سلاح تقعقع من الخارج]

هيهاتَ ليس مع الخيانةِ يا أميرةُ من شفاعَهْ
الجيش أشرع للإغارة رمحه ونضا شراعه
واستلَّ سيفاً دونه حسر الردى بيدٍ قناعه
وأقام يرقب فرصةً ليكيلَ بالعدوانِ صاعه
و (الفضلُ) كان وراءهمْ ، قدرٌ نضا للكيدِ باعه

[تتعالى اصوات الجند مطالبة برأس جعفر]

[الى أمه]

من كان يبغي الملكَ يأنفُ   أنْ يمدَّ يـــدَ الذليلِ
الموتُ أيسرُ من حياةِ   الذلِّ في القيد الثقيلِ
إنْ فاتني عرشٌ ، فلي   الصبرُ الجميلُ على الجليل
إنَّ الرجولةَ خير مـــا   ورثَ الفروعُ عن الأصول
ومن الوفاءِ لذي الوفاءِ   صيانةُ الشرف الأثيل(١)
أمَّاهُ من شمم الرجولـــة   طرحُ أَغـــلالِ الذليل
ما خيرُ عيشٍ حُفَّ بالأوجا
ع والـــداءِ   الوبيـــل(٢)
كلٌّ الى عـــدمٍ يحولُ   كمطرفِ الظلِّ الظليل
إنْ خانني الجدُّ العثورُ   وضنَّ دهري بالقليلِ
ما كنتُ في بذلِ الحيـاة   لصونِ عرضي بالبخيـل
من عادةِ الليثِ الترفعُ   عن صغـارٍ أوْ عويل

---

(١) الأثيل : الرفيـع
(٢) الوبيل : الشديد

وهلِ (البرامكُ) في الشدائد غيرُ ليثٍ دونَ غيلِ [1]

أم جعفر

أنا إنْ أتيت الصبرَ أطرقُ بابَهَ وكتمتُ دائي

فتق الحنانُ لواعجاً بلواعج الداءِ العياء

وجرتْ سوابقُ عبرةٍ خُضبت بشوبٍ من دماء

ولداه أين الصبرُ مِنْ أمٍ على ريبِ القضاء

[تتابع]

ما كان قلبي صخرةً تقوى على عبءِ الشقاءَ

إرفقْ بقلبي إنّه لحمٌ تهالكَ من عياء

أيضيرني جزعي وكنت الأُمَّ يغلبني بكائي

الصبرُ يجمل بالرجالِ وليس يجمل[1] بالنساء

جعفر

[الى مسرور بتجلد]

(مسرورُ) خذْ بيدي فاني قابلٌ حكمَ القضاء

[مسرور وجعفر يخرجان]

---

(١) الغيل : بيت الاسد

(٢) يجمل : يحسن

العباسة

[تهتف]

زوجاه

أم جعفر

ابني رحمـــةً غلب المصابُ على الاباء

[تقع ام جعفر على الارض
والعبـاسة تهتف شاردة]

ما كنت أدري غايتي والكونُ يجري نحو غايهْ
أمشي ولا أدري المصيرَ من المسير أوِ النهايه
أنا قصةٌ تُروى وأشجاني على الدنيا حكايه

[يسدل الستار]

فهرست

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع
منشورات عويدات - ص. ب ٦٢٨
بيروت - لبنان تلفون ٢٧٢٧١٤
في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨

منشورات عويدات ١٢٣/١/١٩٦٨

منشورات عويدات

بيروت لبنان

الثمن ٢٠٠ غ ل.

٢٥٠ غ. س.